العلاقات الجوهرية

بين اللغتين العربية والآرامية «السريانية»

في النواحي التاريخية والفنية واللغوية والأدبية

— ٥ —

٢ — صور الحروف الأبجدية وعددها في اللغتين الآرامية والعربية :

إذا أردنا إيجاد وحدة صورية بين هاتين الأبجديتين يجب علينا الرجوع إلى أقدم صورة بانية لكتيهما وهما القلم الاسطرنجيلي الآرامي ، والقلم الكوفي العربي فعند مقابلة هذين القلمين يتضح لنا اتحادهما في شكل جميع الحروف تقريباً ، الأمر الذي يؤيد تأثر القلم الكوفي بالقلم الاسطرنجيلي تأثراً قوياً بعد استقلاله عن القلم النبطي الآرامي القديم ، وهذا هو السبب في جعل العلماء الخط الاسطرنجيلي وحده أصلاً للخط الكوفي العربي الذي تولدت منه سائر الأقلام العربية إلى يومنا هذا .

أما عدد صور الحروف في الأبجديتين فانها اثنتان وعشرون صورة ، مع أن اللغة العربية تحتاج إلى أكثر من هذا العدد . وقد أظهر العرب حكمة بالغة وحذقاً عظيماً في تلافي النقص في عدد الحروف المستمدة من الآرامية . وذلك أنهم لم يخترعوا صوراً جديدة للحروف الزائدة عن حاجة السريانية الآرامية ، بل عمدوا إلى الحروف نفسها فاستولدوا ستة منها سبعة أحرف جديدة تفي بحاجة اللغة العربية بعد اضافتها إلى الحروف الاثنين والعشرين المعروفة الموجودة في السريانية الآرامية ، وتركوها على صورتها الأصلية ، إنما عالجوا الحرف الجديد بوضع النقط اللازم بحسب الاصطلاح الجديد . وهذه الأحرف الستة التي ولّدوا منها الأحرف السبعة الجديدة هي د . ح . ط . ع . ص . ت .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

فصدرت عنها بالتسلسل سبعة أحرف هي ذ . ج . خ . ظ . غ . ض . ث . وإنك ترى أن كل حرف أصبح حرفين الأصلي بدون نقط . والجديد وضعت له النقط اللازمة . الا (الحاء) وحدها . فقد استولدوا منها حرفين هما (الجيم والخاء) بواسطة نقطتيهما المعروفتين .

ومما يجدر ذكره أن العرب سلكوا سلوكاً فيلولوجياً بارعاً في هذه الطريقة لتلافي عجز الحروف القديمة التي استمدوا منها أبجديتهم الجديدة . وهذا ما عمله الآراميون عند عودتهم إلى كتابة العربية بحروفهم الآرامية . وهو الأسلوب المسمى بـ (الكرشوني) الذي أشرنا إليه سابقاً . الا أن هناك اختلافاً بين الجانبين في بعض الحروف . فان الآراميين استعملوا (الجومل) بوضع نقطة تحتها لكي تصبح (غينا) ، وبوضع نقطة في داخلها لكي تصبح (جيما) في الكتابة الكرشونية . أما العرب فلم يسلكوا هذه الطريقة بل أولدوا الغين من العين بوضع نقطة فوقها . وأولدوا الجيم من الحاء بوضع نقطة تحتها . وهكذا تمّ لهم ما أرادوا .

الا أن العرب لم يضعوا النقط لتمييز الحروف المزدوجة صورة الا بعد شعورهم بوقوع التباسات كثيرة في الكتابة ، وهذا هو السبب في لجوئهم إلى هذه الطريقة السهلة مع ابقاء الحرف على صورته الأصلية الممثلة في الصورة الفرعية أيضاً مع العلم أن كتباً عربية كثيرة كتبت بدون استعمال التنقيط حتى بعد اختراع هذه الطريقة . وما خلا ذلك ، فمع تمادي الزمان وكثرة الاستعمال تقاربت صور أحرف أخرى بعضها من بعض فأصبحت كأنها حرف واحد لا يميز إلا بالنقط أيضاً كالزاي والراء (ز . ر) والشين والسين (ش . س) والقاف والفاء (ق . ف) . وتشابهت أيضاً صور النون والباء والياء والتاء في أول الكلمة وفي حشوها ، وهكذا تجد كثيراً من صور

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

الأحرف كل منها يعبر عن حرفين أو أكثر ، وصارت الحروف العربية ثمانية وعشرين حرفاً ، ولكن يعبر عنها بخمس عشرة صورة فقط .

ان حرف الخاء يولده الآراميون عند كتابتهم العربية بالأحرف الآرامية من (الكوف) أي (ك) ؛ أما العرب ففضلوا أن يتولد من (الحاء) نفسها بوضع نقطة فوقها ، وما تجب الاشارة إليه أيضاً أن صورة (السين والشين) في الابجدية الآرامية النبطية هي واحدة فقط ، فسلك العرب هذه الطريقة وميزوا بينهما بوضع ثلاث نقط صغيرة فوق السين لكي تصبح (شينا) .

هذه هي الوحدة الكاملة بين صور الحروف الأبجدية وعددها في اللغتين الآرامية والعربية .

٣ — الخواص العددية في الحروف الآرامية والعربية :

تتفق الأبجديتان الآرامية والعربية بكونهما تستعملان علامات للأعداد عوضاً عن الأرقام العددية . وهذه الطريقة قديمة جداً في الآرامية وربما يرتقي تاريخها إلى العصور السابقة للمسيحية ، مع العلم أن الأمم الآرامية القدمى قد اخترعت علامات خاصة للأعداد ، فقد ظهرت هذه العلامات في الرقم الكنعانية والآرامية القديمة في انقاض مدن سورية المندرسة كما ظهرت أيضاً في نصب تدمر وكتابات الآراميين في ضواحيها [1] ثم استمدت منها طريقة خاصة في عهد المسيحية الأول في الكتب لتأريخ السنين ، ولتصوير عدد آيات فصول الكتاب المقدس ، وعلى الأخص الانجيل ، ولترقيم اعداد كراريس الكتب ، واستمرت هذه الطريقة إلى العصور المتأخرة [2] .

أما الأرقام الهندية المعروفة اليوم في العالم العربي فلم تعرف إلى القرن السابع

(١) اللمة الشهية ليوسف داود الجزء ١ ص ١٥٧ .
(٢) اللمة الشهية ج ١ ص ١٥٨ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

الميلادي ، قد نبغ في هذا القرن العلامة الفيلسوف والفلكي الرياضي ساويرا سابوخت ، وعلى يده وصلت للمرة الأولى الأرقام الهندية إلى العرب ، ويظهر أن استعمالها لم يشع فبقيت عصوراً أخرى حتى أخرجت إلى الاستعمال ، ويعود الفضل في اعدادها لنا إلى الرياضي السرياني الكبير المشار إليه [١] .

أما طريقة الحروف في العلامات العددية فقد شاعت عند السريان الآراميين اكثر جداً ، فنجد جميع مخطوطاتهم مؤرخة بهذه الطريقة وعنهم أخذها العرب في العصور الأولى لظهور أبجديتهم فاستعملوها كما استعملها الآراميون قبلهم [٢] .

وهذه الحروف تنتظم في الأبجديتين للغاية العددية كما يأتي :

ا : ١ د : ٤ ز : ٧ ي : ١٠ م : ٤٠ ع : ٧٠ ق : ١٠٠

ب : ٢ ه : ٥ ح : ٨ ك : ٢٠ ن : ٥٠ ف : ٨٠ ر : ٢٠٠

ج : ٣ و : ٦ ط : ٩ ل : ٣٠ س : ٦٠ ص : ٩٠ ش : ٣٠٠

ت : ٤٠٠

وبقية الاعداد يعبر عنها بتركيب هذه الحروف نحو :

يا : ١١ يز : ١٧ مز : ٦٧

يب : ١٢ يح : ١٨ قمح : ١٤٨

يج : ١٣ يط : ١٩ شصا : ٣٩١ الخ

وإذا رغبت في تأليف عدد بعد الـ ٤٠٠ فاقرن حروف المئات كما يأتي :

تق : ٥٠٠ تت : ٨٠٠ تش : ٧٠٠

ثم تجعل حروف الآحاد نفسها للآلاف وحروف العشرات للمئات التابعة للأربعمئة . ويشترط أن تكون أولاً الآلاف ، ثم المئات ، ثم العشرات ثم

(١) المشرق البيروتية المجلد ١٤ ص ٢٣٩ سنة ١٩١١ .

(٢) استعمل هذه الطريقة الصبرانيون أيضاً أخذاً عن الآراميين وكذلك اليونانيون ـ اللمعة الشهية ج ١ ص ١٥٢ و ٤٣٩ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

الآحاد ، خوفاً من الالتباس نحو (افعو : ١٨٢٦) ، (بعنا : ٢٧٥١) ، (جقمه : ٣١٤٥) . وقد اصطلحوا أن توضع نقطة فوق حروف العشرات للدلالة على المئات ، ومن تحت حروف الآحاد خطيط قائم للدلالة على الآلاف . ومن تحتها أيضاً خطيط للدلالة على الربوات نحو (ع : ٧٠٠) ، (ننسج : ٥٥٣) ، (اعمه : ١٧٤٥ الخ) .

نستنتج من استعمال الحروف الأبجدية علامات للعدد في اللغتين . ان العرب اعتبروا صراحة عدد الحروف الأبجدية ٢٢ فقط . اذ لم يخالفوا السريان الآراميين في هذه الطريقة مطلقاً وهو الذي يؤيد أن الأبجدية الآرامية هي أم الأبجدية العربية بحروفها الاثنين والعشرين الراهنة . وبالتالي اعتبر العرب أيضاً أن الحروف الابجدية الأصلية هي الاثنان والعشرين الآرامية فقط . وأما الحروف الزائدة في اللغة العربية فهي مشتقة من الحروف الأصلية كما بيّنا سابقاً .

٤ ـ التطور اللفظي في حروف بعض الكلمات المشتركة بين الآرامية والعربية :

من الراهن أن اللغتين الآرامية والعربية باتصالها التاريخي الطويل ، الذي يمتد إلى قلب نشوئهما ويرتقي إلى عهد ازدهارهما ونضجهما ، تبادلتا مادة غزيرة يصعب حصرها في بضع صفحات ، وذلك من حيث الألفاظ والأساليب وغيرها . وأمامنا الآن الناحية اللفظية من المادة المشتركة بين اللغتين ، وتطور الحروف من حالة إلى حالة من حيث النطق بها في اللفظة نفسها . ولا ندعي أننا سنحيط بجميع تلك الألفاظ المشتركة لأن ذلك يحتاج إلى مجلدات كاملة بل نورد نماذج من ذلك التطور لنقف على حالة الحروف الأبجدية النطقية عند استعمالها في هذه المادة المشتركة بينهما مع العلم أن هناك ألفاظاً تكون الحروف هي عينها في كلتا اللغتين .

قبل أن نستعرض التطور اللفظي في الحروف المشار اليها يجب أن نعلم أن الحروف الأبجدية في اللغتين نوعان حروف علة وهي (الألف والواو والياء) ،

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

غير أن السريانية قد تضيف (الهاء) إلى أحرف العلة أحياناً خضوعها في بعض الحالات اللغوية إلى ما تخضع له أحرف العلة في الاعلال والقلب والتغيير . وأما في العبرانية فان (الهاء) ملحقة بأحرف العلة دائماً تقريباً . وسميت أحرف العلة كذلك لأنها تدخل الكلمات إما أصلية أو زائدة فيطرأ عليها تغيير كبير من حذف ، وقلب ، وابدال ، أو يصيب حركاتها أو حركات الحروف التي قبلها شيء من التغيير ، وتشترك اللغتان في هذه الناحية .

ومن المعروف أيضاً أن أحرف العلة كانت تقوم مقام الحركات في اللغتين قبل ظهور الحركات فيهما ، كما هي الحالة في كثير من اللغات الحية الآن ؛ ويظهر أنها لم تف بحاجة النطق الصحيح ، لذلك اضطر علماؤهما الى اختراع الحركات .

والنوع الثاني من الحروف هي الصحيحة ، وهي بقية الحروف الأبجدية ؛ وأما التطور اللفظي في حروف بعض الكلمات المشتركة بين اللغتين فنجده كما يلي :

٣ — الألف (ﺍ : ا) الألف في السريانية وفي العربية ، اذ لم ترد حرف علة على غرار ما أشرنا اليه الساعة ، تكون حرفاً صحيحاً حلقياً ، ويسميه نحاة العربية (الهمزة) ، ومن المعلوم أنه ليس هنالك اسم خصوصي للهمزة في السريانية كما في العربية ، وليس لها إلا علامة خاصة كما هي الحالة في العربية ، ولذلك فان الهمزة السريانية لا تكتب الا بالألف أينما جاءت .

وتكون الهمزة في اللغتين إما زائدة وإما أصلية ، والأصلية تكون في فاء الفعل وعينه ولامه (ܐܟܠ) أكل (ܫܐܠ) سأل (ܩܪܐ) قرأ . وقد تكون في لام الفعل أحياناً مقلوبة في السريانية الى حرف علة فيقال (ܩܪܐ) قرأ (ܒܪܐ) برأ .

وأما التطور الذي أصاب حرف الألف في بعض الكلمات فقد يكون أحياناً في السريانية عوضاً عن العين في العربية فيقال في قرع (ܩܪܥܐ) عوضاً عن (ܩܪܚܐ) .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وترد الألف في السريانية عوضاً عن التاء المربوطة في الأسماء المؤنثة ويقلب الفتح الذي قبل هذه التاء الى زقاق [1] نحو (ﭐ) عله (ﭐ) مدينة (ﭐ) معجدة ، وقد نجد في العربية الدارجة أمثلة كثيرة لهذه الصيغة فيقال (مدبنا ، نعما ، عظما) عوض (مدينة ، نعمة ، عظيمة) وهو ما يدل على تأثير السريانية الآرامية في العربية من هذه الناحية .

٢ — الباء (ﭐ : ب) كل الكلمات المشتركة بين اللغتين تستعمل الباء فيهما باء دون تطور ، إلا في كلمة واحدة فتطور الباء الآرامية الى ميم في العربية ، وهي كلمة (ﭐ) زمن ، والأظهر أن الميم في هذه اللفظة هي أصح من الباء فقد كانت لغة بابل القديمة تقول (ﭐ لا ﭐ) وفي اللهجات الآرامية المحكية في قرى الموصل هي الميم لا الباء فيقال (ﭐ) لا (ﭐ) .

٣ — الجومل (ﭐ : ج) أو حرف الجيم وهذا يلفظ كالجيم المصرية وهو السبب في أن نحاة العرب اعتبروا الجيم من الأحرف القمرية لا الشمسية ، مع أنه يمكن التلفظ به كالأحرف الشمسية ، وقد أصاب هذا الحرف تطور كبير في بعض الكلمات المشتركة بين اللغتين فما يرد في السريانية (الجومل) ينقلب في العربية الى الضاد فيقال في لفظة (ﭐ) ضحك . ويقلب في العبرية الى الصاد فيقال في (ﭐ) ﭐ . ﭐ ﭐ ، ﭐ . بقلب الضاد أو الجومل الى الصاد أو السين .

٤ — الدال (ﭐ : د) الدال في السريانية تمثل في العربية حرفين هما الدال والذال ، وكلما كانت هذه الدال ذالاً في العربية انقلبت زيناً في العبرية فتكون دالاً في كلمات خاصة نحو ﭐ داس ﭐ درس . ﭐ دان ﭐ دار ﭐ ﭐ دار ﭐ دحق (طرد) الخ وتكون ذالاً

(١) الزقاق حركة الضم الخفيفة تشبه الهاء الفرنسية .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

في كلمات أخرى نحو ܒܗܐ ذرّ ܘܠܐ ذلّ ܩܛܐ ذنب ܒܗܛܐ ذنب ܩܗܛܐ ذهب ܩܐܛܐ ذئب واخ .

٥ — الهاء (ه : ه) حرف الهاء تتساوى فيه السريانية والعربية ، إلا ان السريانية قد تستغني عنه أحياناً فيحذف لمرونته وينقلب الى ألف وذلك في آخر الأسماء المؤنثة المجزومة وفي جزم التنكير نحو ܡܕܝܢܬܐ مدينة ܡܕܝܢܬܐ علة كما أسلفنا .

٦ — الواو (ו : و) تتساوى فيها العربية والسريانية . وفي بعض الكلمات العربية التي تبدأ بها تمثلها الباء في السريانية نحو وسادة ܒܣܝܕܬܐ .

٧ — الزاي (ز : ز) تنقلب الزين السريانية الى الصاد في بعض الكلمات العربية المشتركة باللفظ نحو ܙܘܡܐ صديق ܙܥܘܪܐ صغير وقد تنقلب الى شين في العربية نحو ܐܙܠ شنق الا أن اللغتين تشتركان بمادة غزيرة تبدأ بهذا الحرف عينه .

٨ — الحاء (ח : ح) ترد في اللغتين مادة غزيرة تبدأ بالحاء إلا أن في العربية ألفاظاً تنقلب فيها الحاء السريانية الى خاء نحو ܚܠ خل ، ܚܡܪܐ خمر ܚܫܐ سخين ܚܒ خاب ܚܛܐ خيط ܚܝܛܐ خياط ܚܪܒ خرب ܚܪܘܒܐ خروب (خرنوب) ܚܪܙ خرز الخ .

٩ — الطاء (ט : ط) الطاء في السريانية تكون تارةً طاء في العربية ، وأحياناً تنقلب الى الظاء نحو ܛܠ ظل ܛܥܢ ظفر ܛܥܢ طعن ܛܒܝ ظبي ܛܗܪ ظهر ܛܠܡ ظلم .

وقد تنقلب الطاء في السريانية الى تاء في العربية ܛܒܥ تاعس وبعكس ذلك تنقلب التاء العربية الى الطاء في السريانية نحو قتل ܩܛܠ . وتنقلب التاء العربية أيضاً الى الطاء في السريانية نحو ܬܡܗ قطاه .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

١٠ – الياء (ﻫ : ي) ان الياء في السريانية تنقلب الى الواو في العربية وذلك في المثال العربي نحو ﻣﻜﻠ ولد ﻣﻮﻟﺪ وهب ﻣﻮﻫﺐ ودد ﻣﻮﺩ وقر ﻣﻮﻗﺮ وتراخ .

١١ – الكاف (ﻫ : ك) الكاف السريانية لا تأتي الا مقاربة للكاف العربية .

١٢ – اللام (ﻫ : ل) قد تنقلب اللام السريانية الى النون في العربية نحو ﻣﻠﻜﺎ ملك .

١٣ – النون (ﻫ : ن) النون في السريانية قد تنقلب الى ميم في العربية وذلك في الضمائر وأمثالها ، وهي كثيرة لا يسعنا ايرادها الآن .

١٤ – السين (ﻫ : س) السين أو السمكث السريانية قد تنقلب الى شين في العربية وبالعكس وهذا متأت من عدم التمييز بين الحرفين في الأبجدية الآرامية القديمة ، فقد كانت علامة واحدة لتمثيل الحرفين ، بل بالحري ان الحرفين كانا حرفاً واحداً كما سبق في بحث الأبجدية النبطية .

١٥ – العين (ﻫ : ع) العين السريانية قد تمثل ثلاثة أحرف عربية وهي العين والغين والضاد فمن الأول ﻣﻜﻠﺎ ساعة ﻣﻜﺎ عين ﻣﻤﻜﺎ عمل ﻣﻜﺎ رعى . ومن الثاني ﻣﻦ غرب ﻣﻐﻨﻜﺎ غراب ﻣﻜﻚ غاب ﻣﻤﻜﺎ غيم ﻣﻜﻜﺎ مغارة ﻣﻜﺎ بغى ومن الثالث ﻣﻨﻜﺎ أرض ﻣﻜﻜﺎ بيضة ﻣﻜﺎ ضان ﻣﻜﻜﺎ ضرة ﻣﻦ ضرب ﻣﻨﻜﺎ رضوان .

١٦ – الصاد (ﻫ : ص) قد تنقلب الصاد السريانية الى الضاد العربية نحو ﻣﻦ عض ﻣﻦ عرض ﻣﻦ غمض ﻣﻦ حمض ﻣﻦ نقض .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

١٧ — الراء (ﻫ : ر) قد تقابل الراء السريانية نون في العربية ومن ذلك ܒܢܝ اثنين ܚܕ ابن ܚܕܬܐ بنت إلا أن الراء السريانية تنقلب الى نون أيضاً فيها عند الجمع فيقول في ܚܕ ابن ܚܢܢ بنون ܚܕܬܐ بنت ܚܢܢܐ بنات .

١٨ — الشين (ﻫ : ش) قلما تقابل الشين السريانية بشين عربية بل تقابلها غالباً السين كما سبق الكلام في السين السريانية نفسها .

١٩ — التاء (ﻫ : ت) تمثل التاء السريانية حرفين في العربية هما التاء والثاء وهكذا تكون بعض الكلمات المتحركة في اللغتين تارةً تاء عربية نحو ܐܬܬܐ تنور ܬܢܢܐ تنين ܬܡܢ تيس وطوراً ثاء نحو ܬܕܝ ثدي ܬܘܪܐ ثور ܬܩܠ ثقل ܬܠܬ ثلاث .

هذا ما يمكن قوله في تطور الحروف ولفظها في المادة المشتركة بين اللغتين العربية والسريانية الآرامية . ولو عاد المتبصر الى معاجم اللغتين لوجد بحراً خضماً من المادة المشتركة فيهما واهتدى إلى أمثلة كثيرة على غرار ما ألمعنا اليه في بحثنا هذا .

(الموصل) غريغوريوس بولس بهنام

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net